وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة وتوقفهم اذا اظلم عليهم بقوله ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها
الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير
يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على
سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة
المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما للعظمة كقول
الداعي يا رب يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتنا بالمدعو له وزيادة الحث عليه
وهو مع المنادى جملة مفيدة لانها نايب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعروف باللام فان ادخال يا
عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كالمثلين واعطي حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالندا وصفا
موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحم بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي المضاف
اليه وانما كثر الندا على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكلما نادى الله به عباده
من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق
بان ينادى لهم بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثنا منها
والتاكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس
الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل
للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس
فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به
هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشي وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا
يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن
المومنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي
خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد
بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشي على تقدير واستوا
واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها

فانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين
يوادونهما وقد رتب النهي على موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايما على العلة وتنبيها
على ان من هذا شانه بعيد من الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار
على قراة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين
خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس
على الحق راسا سواء كان ذا دين تبع الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب او لم يكن كالمشركين
واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مومنين لان الايمان يقتضي حقا ذلك وقيل ان كنتم مومنين
بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه
دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها
في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يودي الى الجهل بالحق والهزء به
والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا
اذا انكره وانتقم منه اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب كلها وان اكثركم فاسقون عطف على امنا وكان المستثنى
لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون
الا ان امنا بقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان
اكثركم فاسقون او رفع على الابتدا والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب
الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب لليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University